



تأليف
الشيخ مصطفى العدوي

مكتبة مكة

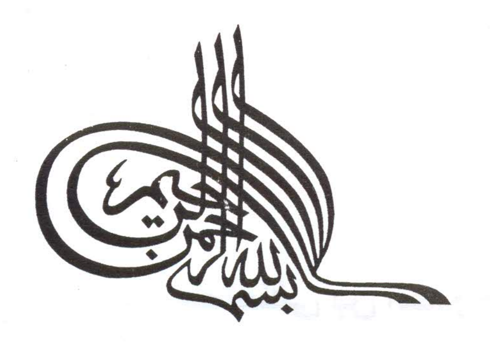
قصة
أصحاب السبت

قصة أصحاب السبت

فضيلة الشيخ

أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

مكتبة مكة



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا فيه.

وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله - صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن سلك طريقه واستنّ بسنته، واهتدى بهديه إلى يوم الدين.

وبعد:

فكثيرًا ما نُذَكَّرُ في كتاب الله عز وجل بقَصص مَنْ سبقونا من أهل الفضل والصلاح؛ كي نقتفي آثارهم ونتبع سبيلهم، إذ هم أُسوتنا وقدوتنا، كما قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وكما قال سبحانه: ﴿وَٱتَّبِعْ

سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥].

ونُذكَّر أيضًا بما حلَّ بأهل الشر والفساد والتمرد والعصيان على أمر الله ورسله، وذلك حتى نحذر مسالكهم، ونتنكب عن طريقهم.

والموفَّق المُسدَّد المُلهمُ - الذي وفقه الله وسدده وأنار بصيرته - يأخذ من قصص الأنبياء عبرًا وعظات كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.. الآية [يوسف: ١١١].

ولقد قال الله سبحانه وتعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

فلهذا؛ ولغيره أيضًا من فوائد القصص التي ذكرها الله في كتابه، وذكرها نبينا الأمين ﷺ في سننه، أسوق هذه القصة، قصةَ أصحاب السبت مستعينًا بالله ﷻ، أسوقها كما وردت في كتاب الله ﷻ، ثم ببيان الوارد فيها من أقوال أئمتنا وعلمائنا، والفوائد التي استنبطوها منها، مع بيان العبر والعظات المأخوذة منها، وكذا بيان معاني

الآيات والمفردات.

وأسأل الله أن يوفقني وإخواني للعمل بكتاب الله وبسنة رسوله ﷺ، وأن يرزقنا الاتعاظ والتفكر والتدبر والاعتبار، وأن يجعل كتابه الكريم حُجةً لنا لا علينا... اللهم آمين...

فإلى القصة وما فيها... سائلًا الله السداد، والرشاد.

وصلِّ اللهم على نبينا محمد وسلم، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه

أبو عبد الله

مصطفى بن العدوي

سياق القصة كما وردت في كتاب الله ﷻ

قال الله ﷻ(١):

﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ(٢) إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ

---

(١) الآيات الكريمات من سورة الأعراف.

(٢) **وهذا مزيد من الإيضاح يتعلق بـ(السبت):**

المراد بالسبت في الآية الكريمة: يوم السبت الذي يلي يوم الجمعة، أما أصل السبت فقد ورد في (لسان العرب): السَّبت والسُّبات: الدهر، والسَّبتُ أيضًا برهة من الدهر، والسَّبتُ كذلك الراحة، وسبت استراح وسكن.

ذوقال الطبري رحمه الله: وأصل (السبت) الهدوء والسكون في راحة ودعة، ولذلك قيل للنائم (مسبوت) لهدوِّه وسكون جسده واستراحته كما قال جل ثناؤه: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩﴾ [النبأ: ٩]، أي: راحة لأجسادكم، وهو مصدر من قول القائل: =

شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾

= (سبت فلان يسبت سبتًا).

وقد قيل: إنه سُمي (سبتًا)؛ لأن الله جل ثناؤه فرغ يوم الجمعة وهو اليوم الذي قبله من خلق جميع خلقه.

بعض معاني المفردات الواردة في هذه القصة:

الكلمة	معناها
﴿حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾	مجاورة البحر - على شاطئ البحر
﴿يَعْدُونَ﴾	يخالفون أمر الله - يعتدون - يصطادون في الوقت المحرم الذي يتجاوزون الحدَّ فيه ويخالفون أمر الله فيه
﴿فِى ٱلسَّبْتِ﴾	يوم السبت
﴿حِيتَانُهُمْ﴾	جمع حوت - وكذا الأسماك.
﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾	يوم راحتهم (اليوم الذي حُرِّم عليهم الصيد فيه)
﴿شُرَّعًا﴾	ظاهرة على وجه الماء - رافعةً رؤوسها من كل طريق وناحية
﴿لَا يَسْبِتُونَ﴾	يوم لا يُحَرَّمُ عليهم العمل - لا يدخلون في السبت - لا يدخلون في يوم الراحة

الكلمة	معناها
﴿نَبۡلُوهُم﴾	نختبرهم - نشدِّد عليهم في العبادة
﴿يَفۡسُقُونَ﴾	يخرجون عن الطاعة - يعصون
﴿أُمَّةٞ﴾	جماعة
﴿تَعِظُونَ﴾	تُذكِّرون - تأمرون وتنهون - تخوِّفون
﴿مُهۡلِكُهُمۡ﴾	مُميتهم
﴿مَعۡذِرَةً﴾	اعتذارًا (نعتذر إلى الله) وقيل: (معذرةٌ) بالضم أي هذه معذرةٌ، أو هذا عذر نعتذر به إلى الله
﴿يَتَّقُونَ﴾	يبتعدون عن الحرام - يتقون المعاصي - يتركون ما هم عليه من المعصية
﴿نَسُواْ﴾	تركوا
﴿ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ﴾	وُعِظُوا منهم
﴿ٱلسُّوٓءِ﴾	المنكر - المعصية - المُحرَّم
﴿بَـِٔيسِۭ﴾	شديد - عظيم - أليم - موجع

الكلمة	معناها
﴿عَتَوۡا۟﴾	تمردوا - استحلُّوا ما حرَّم الله - استكبروا عن قبول الحق - تمادوًا في الغيِّ
﴿قِرَدَةً﴾	جمع قردٍ
﴿خَٰسِـِٔينَ﴾	مطرودين - مُبعدين عن الخير - مُهانين ذليلين - حقيرين
﴿تَأَذَّنَ﴾	أَخْبَرَ - أَعْلَمَ
﴿يَسُومُهُمۡ﴾	يُذِيقُهُم
﴿سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾	أسوأ العذاب

وبين يدي هذه القصة

أقول – وبالله التوفيق –:

لقد حرَّم الله سبحانه وتعالى على بني إسرائيل الصيد يَوْمَ السبت، وغلَّظ عليهم في ذلك وشدَّد، ونهى أشد النهي عن الاعتداء يوم السبت.

ولقد كان هذا النهي شديدًا!!، والميثاق عليه غليظًا!!.

قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾.

لقد أُخِذَ عليهم هذا الميثاق على لسان أنبيائهم، وبين لهم الأنبياء – عليهم السلام – خطورة نقض العهد والميثاق أكمل بيانٍ وأتمَّ بيان!!.

لقد حذَّروهم أشد التحذير من الاعتداء يوم السبت!!.

ولكن ماذا كان من بني إسرائيل الذين غلب عليهم الشر

والفساد؟!!

ماذا كان من هؤلاء الذين أَبَوْا إلا الشقاق والعناد؟!!

لقد نقضوا العهد والميثاق!! لقد ارتكبوا ما نهاهم الله عنه، ووقعوا في المحظور عن علمٍ وعن عمدٍ!!.

فمن ثَمَّ حلَّ بهم من البلاء والعذاب والنكد والمسخ ما حلَّ، ونزل بهم من العقاب ما نزل..

لقد مُسخوا - عياذًا بالله - فأصبحوا قردة!

بل؛ ولعصيانهم أيضًا تحول فريق منهم إلى خنازير!!.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾.

ولقد كان يهود المدينة ومن حولها يتكاتمون ذلك، ولا يظهرون ما حلَّ بأسلافهم من النَّكَالِ ومن العقاب، حتى لا يُعيِّرُهم مُعيِّرٌ، ولا يُوَبِّخُهم مُوَبِّخٌ.

بل، ولقد كان بعضُهم يوصِي بعضًا بهذا الكتمان، وإذا أفشَى بعضُهم ذلك أو شيئًا مما كتموه من العقوبات التي أنزلها الله بهم لاموه وعاتبوه.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [البقرة: ٧٦].

إلا أن الله عَزَّ وَجَلَّ كشف كثيرًا من أستارهم، وبيَّن كثيرًا من فضائحهم وأسرارهم، ولكن رحمة منه بعباده، وسترًا منه عليهم لم يُبين كلَّ شيء صنعوه، بل ستر عليهم أشياء أيضًا.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ﴾ [المائدة: ١٥].

وكان مما بينه الله عَزَّ وَجَلَّ وأظهره أمر المعتدين يوم السبت، وما حلَّ بهم، وأوضح أن اليهود الذين كانوا يساكنون رسول الله ﷺ المدينة أو يجاورونها يعرفون

ذلك، ولكنهم يتكاتمونه عن علمٍ وعن عمدٍ.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾ [البقرة: ٦٥].

أي أن أمرهم لا يخفى عليكم ومسخهم لا يغيب عنكم.

فإلى هذه القصة التي أظهرها الله ﷻ لليهود وللمسلمين، وكان اليهود يخفونها:

لقد أمر اللهُ نبيَّهُ ﷺ أن يسأل اليهود عنها سؤالَ توبيخ وتقرير، لعلهم يذكرون، لعلهم يتعظون، لعلهم أيضًا يصدقون نبوته، فكيف وهو أُمِّيٌّ لا يقرأ ولا يكتب، كيف يخبرهم بهذه الأخبار، ويقص عليهم تلك القصص.

قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾[٣].

(٣) كذا، ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾، والمراد السؤال عن أهلها بدليل السياق، وهي كقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾ أي اسأل أهل القرية التي كنا فيها.

اسأل هؤلاء اليهود عن أهل هذه القرية، تلك القرية التي كان يسكنها أسلافهم، اسألهم عن القرية وما حلَّ بأهلها بعد صنيعهم الذي صنعوا!!.

أما عن القرية وأيُّ قرية هي؟!! فلم يصح بذلك خبر عن النبي ﷺ.

ولقد قيل: إنها **أيلة**، وقيل: إنها **مدين**، وقيل غير ذلك.

فالله أعلم، والعبرة - ولله الحمد - حاصلة على كل حال لمن أراد الله به خيرًا.

والحاصل أنها كانت قرية مجاورة للبحر، على شاطئ البحر أغلب عمل أهلها الصيد!!.

ولقد تفشى فيهم الفسق، وارتكبوا كثيرًا من المحرمات، فابتلاهم الله عز وجل بسبب فسقهم هذا، استدراجًا لهم بعد إمهالٍ، وكثيرًا ما يبتلى الفساق، يبتلون حتى يقعوا في المعاصي والكبائر، فيأخذهم الله بالعذاب.

ولقد قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [الإسراء: ١٦].

لقد ابتلاهم الله بابتلاء عجيب، قلَّ من يتفطن له من الناس!!، وقلَّ من يدرك منهم أنه ابتلاء!!.

إن المريضَ قد يعلم أن الله ابتلاه بالمرض!!

والفقيرَ قد يعلم أن الله ابتلاه بالفقر!!

والذي أُصيبَ بخسارة في ماله قد يعلم أن الله ابتلاه بذلك!!

لكن كثيرًا من الأغنياء لا يشعرون أنهم في ابتلاء بالغنى!!

وكثيرًا من الأصحاء لا يشعرون أنهم في ابتلاء بالعافية!!

وكثيرًا ممن رُزقوا بالجاه والولد لا يشعرون أنهم في ابتلاء بهذا!!

وهناك ابتلاء عجيبٌ قلَّ من يتفطن له، منه هذا الابتلاء

الذي ابتلى به أهل هذه القرية.

إنه ابتلاء بتيسير أسباب المعصية!!

وذلك بتمكين الشخص منها، ليُعلم أيرتكبها ويقع فيها، أم أنه سيقاوم مستعينًا بالله حتى ينجو ويسلم.

إن هذا الابتلاء بتيسير أسباب المعصية قد ذكَّرنا الله سبحانه وتعالى به في عدة آيات ومواطن من كتابه العزيز، ولكن ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: ٤٣].

فمن تلك الابتلاءات بتيسير أسباب المعصية قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ﴾ ... الآية [المائدة: ٩٤].

وقول طالوت لقومه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وسيأتي لذلك مزيد بيان في الفوائد المستنبطة من هذه القصة - إن شاء الله تعالى -.

أما عن هذا الابتلاء الذي ابتُلي به أصحاب القرية:

فلقد كانوا يخرجون لعملهم كصيادين في أيام الأسبوع - سوى السبت - فيطرحون الشباك في البحر، فتهرب الحيتان، ولا يُرى لها أثر، وتخرج الشباك كما طُرحت ليس فيها سمكة واحدة، هكذا في كل أيام الأسبوع سوى السبت، أما يوم السبت الذي حُرِّم عليهم الصيد فيه، فإن الأسماك كانت تأتيهم من كل صَوْبٍ وحَدَبٍ، تأتي شارعةَ ظاهرةً على وجه الماء!!

حيتانٌ عظيمة تأتي فُرَادَى وجماعات!!

تأتي ويضربها ضوء الشمس فتلمع في ضوء الشمس كالفضة!!

بل ومن العلماء من قال: إنها كانت ترمي بنفسها أحيانًا على البر، كأنها تقول لهم (خذوني، خذوني)!!

فماذا يصنع القوم أمام هذا الاختبار؟!!

إن الحيتان تأتيهم في اليوم الذي حُرِّم عليهم الصيد فيه!

وتختفي تمامًا في سائر الأيام!

فماذا يصنعون؟!!

لقد احتال منهم المحتال - كما قال بعض العلماء - نصب الشباك يوم الجمعة، فوقعت فيها يوم السبت، ثم أخذها يوم الأحد!! كذا قال البعض.

وآخرون لم يبالوا أصلًا بحرمة يوم السبت، فاصطادوا يوم السبت، وارتكبوا المحرمات، ووقعوا في المحظور، فماذا كان؟!!

انقسم أهل القرية ثلاثة أقسام:

القسم الأول: وهم الأكثر والأغلب والأعم اعتدوا يوم السبت.

القسم الثاني: فريق موفَّقٌ مباركٌ قام ينهى عن المنكر، ويعظ ويُذكِّر.

القسم الثالث: لم يقع في المحظور، ولم ينه عن المنكر، وهم الساكتون.

سكتوا، بل وقالوا للفئة الموفَّقَة الناهية عن المنكر: لم تعظون قومًا الله مهلكهم أو معذِّبُهم عذابًا شديدًا؟!!

هكذا انقسم أهل القرية إلى هذه الأقسام(٤).

---

(٤) **قال الطبري** رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واذكر أيضًا يا محمد ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾ جماعة منهم لجماعة كانت تعظ المعتدين في السبت، وتنهاهم عن معصية الله فيه، ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ في الدنيا بمعصيتهم إياه، وخلافهم أمره، واستحلالهم ما حرم عليهم، ﴿أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ في الآخرة، قال الذين كانوا ينهونهم عن معصية الله مجيبين لهم عن قولهم: عظتنا إياهم معذرة إلى ربكم، نؤدي فرضه علينا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، يقول: ولعلهم أن يتقوا الله فيخافوه، فينيبوا إلى طاعته، ويتوبوا من معصيتهم إياه، وتعدِّيهم على ما حرم عليهم من اعتدائهم في السبت.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يخبر تعالى عن أهل هذه القرية أنهم صاروا إلى ثلاث فرق: =

وترى ماذا كان من أمر هذه الأقسام الثلاثة وما مصيرهم؟!!

قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾. أما المراد بالنسيان(٥) هنا فهو الترك

= فرقة ارتكبت المحذور، واحتالوا على اصطياد السمك يوم السبت، كما تقدم بيانه في سورة البقرة، وفرقة نهت عن ذلك واعتزلتهم، وفرقة سكتت فلم تفعل ولم تنه ولكنها قالت للمنكرة: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ أي: لم تنهون هؤلاء وقد علمتم أنهم هلكوا واستحقوا العقوبة من الله؟ فلا فائدة في نهيكم إياهم، قالت لهم المنكرة: ﴿مَعْذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ قرأ بعضهم بالرفع، كأنه على تقدير: هذه معذرةٌ، وقرأ آخرون بالنصب أي: نفعل ذلك ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ أي: فيما أخذ علينا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يقولون: ولعل بهذا الإنكار يتقون ما هم فيه ويتركونه، ويرجعون إلى الله تائبين، فإذا تابوا تاب الله عليهم ورحمهم.

(٥) وكثيرًا ما يرد النسيان بمعنى الترك، كما في قوله تعالى: ﴿نَسُوا۟=

والإعراض، فقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ﴾: أي فلما ترك هؤلاء الأئمةُ الظلمةُ المعتدون التذكرةَ فلم يقبلوها وأعرضوا عن الموعظة فلم يستمعوها ولم يبالوا بنصح الناصحين، ولا بتذكير المذكِّرين، واستحلوا ما حرم الله ﷻ من صيد السمك وأكله، أنجى الله ﷻ الفئة الصالحة الناهية عن المنكر، فحفظها وسلمها، وأحلَّ بأهل الظلم والاعتداء المجاوزين لحدود الله، المنتهكين لمحارمه عذابًا شديدًا بئيسًا لفسقهم وخروجهم من الطاعة إلى المعصية.

لقد عُذِّبوا عذابًا شديدًا لتماديهم في الغيِّ والشر والفساد، بل لقد تحولوا - عياذًا بالله - إلى قردة.

= ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾، وكما في قوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾.

هذا؛ وقد قال القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ﴾ أي: فلما تركوا ما ذكرهم به صلحاؤهم، ترك الناسي للشيء، وأعرضوا عنه إعراضًا كليًّا بحيث لم يخطر ببالهم شيء من تلك المواعظ أصلًا.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾﴾.

أي: فلما أعرض هؤلاء القوم الذين اعتدوا في السبت عن الذكرى، ولم يقبلوها، وتمادَوْا في غَيهم وعصيانهم، واستحلوا ما حرمه الله عليهم.

مسخهم الله عز وجل بقوله: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ أي مُبْعَدِين عن الخير.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: فلما تمرَّدوا، فيما نهوا عنه من اعتدائهم في السبت، واستحلالهم ما حرَّم الله عليهم من صيد السمك، وأكله، وتمادوا فيه، ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾، أي: بُعداء من الخير.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قال: لما مرد القوم على المعصية ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾، فصاروا قردة لها أذناب تعاوى، بعدما كانوا رجالًا ونساءً.

هذا؛ وقد قيل: إن شباب القوم صاروا قردة، وأن المشيخة صاروا خنازير، فالله أعلم...

قلت: فهكذا أنجى الله الناهين عن المنكر، وعذب العصاة المعتدين.

أما الفئة الثالثة الساكتة التي لم تقع في المحظور ولم تباشره، والتي لم تنه عن المنكر، فما مصيرها؟

قال بعض أهل العلم: إن الله عز وجل لم يذكرها هاهنا؛ لأنها لا تستحق أن تذكر، لكونها سكتت، فسُكِتَ عن ذكرها.

وقال آخرون: إنهم عُذِّبوا مع من عُذِّب.

وذهب فريق ثالث من العلماء إلى أنهم نجوا وسلموا؛ وذلك لأن الله قال:

﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾.

وهؤلاء الساكتون لم يقعوا في الظلم.

وأيضًا لأن الله قال: ﴿فَلَمَّا عَتَوۡاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنۡهُ قُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ١٦٦﴾، وهؤلاء - أعني الساكتين - ما عَتَوْا، والله أعلم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ﴾، أي: فلما أبى الفاعلون المنكرَ قبول النصيحة ﴿أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أي: ارتكبوا المعصية ﴿بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ﴾، فنص على نجاة الناهين وهلاك الظالمين، وسكت عن الساكتين؛ لأن الجزاء من جنس العمل، فهم لا يستحقون مدحًا فيمدحوا، ولا ارتكبوا عظيمًا فيذموا، ومع هذا فقد اختلف الأئمة فيهم هل كانوا من الهالكين أو الناجين.

فهكذا مصير هذه الأقسام وهؤلاء الأقوام:

- ❑ الناهون عن المنكر سلمهم الله وحفظهم.

- مرتكبو الجرائم المعتدون أهلكهم الله وعذبهم ومسخهم وحولهم إلى قردة.

- الساكتون سُكت عنهم.

فسبحانك اللهم، فأنت الله لا إله إلا أنت!!.

ثُمَّ هذه بعض الآثار الواردة عن السلف الصالح في شأن أصحاب السبت:

وابتداءً، فلم أقف على أي خبر ثابت عن رسول الله ﷺ في شأن أصحاب السبت.

أما عن الآثار عن الصحابة والتابعين فمنها ما صحَّ، ومنها ما هو ضعيف.

أخرج الطبري(٦) بإسناد ضعيف عن عِكْرِمَةَ قال:

جئتُ ابنَ عباس يومًا وهو يبكي، وإذا المصحف في

(٦) الطبري (١٥٢٨٣).

حِجره، فأعظمتُ أن أدنُوَ، ثم لم أزل على ذلك حتى تقدَّمت فجلستُ، فقلت: ما يُبكيك يا ابن عباس، جعلني الله فداءك؟ فقال: هؤلاء الورقات! قال: وإذا هو في سورة الأعراف، قال: تعرف أيلة! قلت: نعم! قال: فإنه كان حيٌّ من يهود، سيقت الحيتان إليهم يوم السبت، ثم غاصت لا يقدرون عليها حتى يغُوصوا، بعد كدٍّ ومؤنة شديدة، وكانت تأتيهم يوم السبت شُرَّعًا بيضًا سمانًا كأنها الماخض، تنبطحُ ظهورُها لبطونها بأفنيتهم وأبنيتهم. فكانوا كذلك برهة من الدهر، ثم إن الشيطان أوحى إليهم فقال: إنما نهيتم عن أكلها يوم السبت، فخذوها فيه، وكلوها في غيره من الأيام! فقالت ذلك طائفة منهم، وقالت طائفة منهم: بل نُهيتم عن أكلها وأخذِها وصيدها في يوم السبت. وكانوا كذلك، حتى جاءت الجمعة المقبلة، فعدت طائفة بأنفسها وأبنائها ونسائها، واعتزلت طائفة ذات اليمين، وتنحَّت، واعتزلت طائفة ذات اليسار وسكتت. وقال الأيمنون: ويلكم! اللهَ، اللهَ، ننهاكم أن تتعترَّضوا لعقوبة الله! وقال الأيسرون: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ

مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾؟ قال الأيمنون: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾! أي: ينتهون، فهو أحب إلينا أن لا يصابوا ولا يهلكوا، وإن لم ينتهوا فمعذرة إلى ربكم. فمضوا على الخطيئة، فقال الأيمنون: قد فعلتم، يا أعداء الله! والله لا نُبَايتكم الليلة في مدينتكم، والله ما نراكم تصبحون حتى يصيبكم الله بخسف أو قذف أو بعض ما عنده بالعذاب! فلما أصبحوا ضربوا عليهم الباب ونادوا، فلم يُجابوا، فوضعوا سُلَّمًا، وأعلوا سور المدينة رجلًا فالتفت إليهم فقال: أي عبادَ الله، قردةٌ والله تعاوَى لها أذناب! قال: ففتحوا فدخلوا عليهم، فعرفت القردةُ أنسابها من الإنس، ولا تعرف الإنسُ أنسابَها من القردة، فجعلت القرود تأتي نسيبها من الإنس فتشمّ ثيابه وتبكي، فتقولُ لهم: ألم ننهكم عن كذا؟ فتقول برأسها: نعم!

ثم قرأ ابن عباس: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾.

قال: فأرى اليهود الذين نَهَوْا قد نجوا، ولا أرى الآخرين ذُكروا، ونحن نرى أشياء ننكرها فلا نقول فيها! قال قلت: جعلني الله فداك، ألا ترى أنهم قد كَرِهوا ما هم عليه، وخالفوهم وقالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ﴾؟ قال: فأمرَ بي فكسيتِ بُرْدَين غليظين.

وأخرج الطبري(٧) بإسناد صحيح إلى أيوب قال:

تلا الحسن ذات يوم: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾، فقال: حوتٌ حرمه الله عليهم في يوم، وأحله لهم فيما سوى ذلك، فكان يأتيهم في اليوم الذي حرَّمه الله عليهم كأنه المخاض، لا يمتنع من أحد. وقلَّما رأيت أحدًا يكثر الاهتمامَ بالذنب إلا واقعه، فجعلوا يَهتمُّون ويمْسِكون

---

(٧) وهو منْ قول أيوب.

حتى أخذوه، فأكلوا أوْخَم أكلة أكلها قوم قطُّ، أبقاه خزيًا في الدنيا، وأشدُّه عقوبة في الآخرة! وايم الله، ما حوتٌ أخذه قوم فأكلوه، أعظم عند الله من قتل رجل مؤمن! وللمؤمن أعظم حرمة عند الله من حوت، ولكن الله جعل موعدَ قومٍ الساعة ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [سورة القمر: ٤٦].

وأخرج الطبري(٨) أيضًا بإسناد حسن عن قتادة قال:

﴿وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ﴾، ذُكر لنا أنه إذا كان يوم السبت أقبلت الحيتان، حتى تتبطَّح على سواحلهم وأفنيتهم، لما بلغها من أمر الله في الماء، فإذا كان في غير يوم السبت، بعدت في الماء حتى يطلبها طالبهم. فأتاهم الشيطان فقال: إنما حرم عليكم أكلها يوم السبت، فاصطادوها يوم السبت وكلوها فيما بعد! . . . . . قوله: ﴿وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ١٦٤﴾، صار

---

(٨) الطبري (١٥٢٨٤)، وهو من قول قتادة كما ترى.

القوم ثلاثة أصناف، أما صنف فأمسكوا عن حرمة الله ونهوا عن معصية الله، وأما صنف فأمسك عن حرمة الله هيبةً لله، وأما صنف فانتهك الحرمة ووقع في الخطيئة.

وأخرج الطبري(٩) بإسناد صحيح إلى ابن زيد في قوله:

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ حتى بلغ ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، لعلّهم يتركون ما هم عليه. قال: كانوا قد بُلوا بكفِّ الحيتان عنهم، وكانوا يسبتون في يوم السبت ولا يعملون فيه شيئًا، فإذا كان يوم السبت أتتهم الحيتانُ شُرَّعًا، وإذا كان غير يوم السبت لم يأت حوتٌ واحد. قال: وكانوا قومًا قد قَرِموا بحب الحيتان ولقوا منه بلاءً، فأخذ رجل منهم حوتًا فربط في ذنبه خيطًا، ثم ربطه إلى خَشَفَةٍ، ثم تركه في الماء، حتى إذا غربت الشمس من يوم الأحد، اجتره بالخيط ثم شواه. فوجد جارٌ له ريح حوت، فقال: يا فلان، إني أجد في بيتك ريح نونٍ! فقال: لا!

---

(٩) الطبري (١٥٢٨٦)، وهو من قول ابن زيد كما ترى.

قال: فتطلع في تنُّوره فإذا هو فيه، فأخبره حينئذ الخبرَ، فقال: إني أرى الله سيعذِّبك. قال: فلما لم يره عجَّل عذابًا، فلما أتى السبت الآخر أخذ اثنين فربَطَهما، ثم اطلع جارٌ له عليه، فلما رآه لم يعجِّل عذابًا، جعلوا يصيدونه، فاطلع أهل القرية عليهم، فنهاهم الذين ينهون عن المنكر، فكانوا فرقتين: فرقة تنهاهم وتكفّ، وفرقة تنهاهم ولا تكف. فقال الذين نهوا وكفوا، للذين ينهون ولا يكفون: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾؟ فقال الآخرون: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾. فقال الله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ إلى قوله: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ قال الله: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾، وقال لهم أهل تلك القرية: عملتم بعمل سَوْء، من كان يريد يعتزل ويتطهَّر فليعتزل هؤلاء! قال: فاعتزل هؤلاء وهؤلاء في مدينتهم، وضربوا بينهم سورًا، فجعلوا في ذلك السور أبوابًا يخرج بعضُهم إلى بعض. قال: فلما كان الليل طرقهم الله بعذابٍ، فأصبح أولئك المؤمنون لا يرون منهم

أحدًا، فدخلوا عليهم فإذا هم قردة، الرجل وأزواجه وأولاده، فجعلوا يدخلون على الرجل يعرفونه فيقولون: يا فلان، ألم نحذرك سطوات الله؟ ألم نحذرك نقمات الله؟ ونحذرك ونحذرك؟ قال: فليس إلا بكاء! قال: وإنما عذب الله الذين ظلموا، الذين أقاموا على ذلك. قال: وأما الذين نَهَوْا، فكلهم قد نهى، ولكن بعضهم أفضل من بعض. فقرأ: ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾.

ولنرجع إلى سياق الآيات المتعلقة بالقصة:

لقد قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾.

ومعنى ذلك - والله أعلم -: واذكر يا رسول الله لقومك ومن حولك ومن يأتون بعدك أن الله عز وجل أعلم وأخبر أنه سيبعث على هؤلاء اليهود المعاندين للرسل

والمخالفين لأوامر ربهم ﷻ من يذيقهم أسوأ العذاب، ذلكم العذاب المتمثل في القتل والتشريد، وفرض الجزية، وكراهية الناس لهم، وذلك إلى يوم القيامة.

فإن قيل: كيف ذلك، وقد تقدم أنهم مسخوا قردة وخنازير؟!!

فقد أجاب عن ذلك عدد من أهل العلم فقالوا:

إن هؤلاء الذين قال الله في شأنهم: ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ هم الذين أتوا من بعدهم من اليهود الذين ساروا على طريقة سابقيهم في الغي والضلال والعناد والشقاق، والله أعلم.

ثم يُذكِّر الله ﷻ بالعقوبات التي أحلَّها بمن أتى من بعد هؤلاء وساروا على دربهم:

فقال تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ أي مزقناهم وفرقناهم بعد اجتماع.

وتلك عقوبة طالما تكررت وحلت بأقوام، كما قال تعالى في شأن سبأ: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سَبَإ: الآية ١٩] .

فهكذا يُذكِّر الله ﷻ عباده المؤمنين بما حل بالأمم المكذبة حتى يحذر العباد عقوبة الشقاق والعناد، وكيف أن النعم تتحول إلى نقم، وكيف أن الأمن يبدل خوفًا، والاجتماع يؤول إلى فرقة واختلاف بسبب التمرد والعصيان!!

ولقد ذكَّر الله سبحانه وتعالى بأمر هؤلاء المعتدين في السبت، وذلك في سورة البقرة؛ إذ الله ﷻ قال: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾، ففيه تحذير لبني إسرائيل، ووجهه أن الله سبحانه وتعالى ذكَّر بني إسرائيل بما صنع أسلافُهم وأجدادُهم من نقض العهود والمواثيق، فلما اعتدى أسلافهم في يوم السبت الذي كان الصيد فيه محرمًا عليهم فاصطادوا وخالفوا أمر الله تعالى، وقد كانت العهود أُخذت عليهم

ألا يعتدوا في السبت كما قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ١٥٤].

فلما خالفوا أمر الله - تبارك وتعالى - مسخهم الله عَزَّ وَجَلَّ قردة كما ذكر الله سبحانه في كتابه: ﴿فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الأعراف: ١٦٦].

فأنتم يا معشر يهود يا من بُعِثَ محمد ﷺ بين أظهركم وأنتم تجدونه مكتوبًا عندكم في التوراة، وقد أخذت عليكم العهود والمواثيق أن تؤمنوا به، وها هي صفاته مطابقة لما بين أيديكم من التوراة، فإن لم تؤمنوا به فقد نقضتم العهد المأخوذ عليكم، فعليكم حينئذ أن تنتظروا العقوبة التي تحل بكم كما حلت العقوبة بأسلافكم الذين نقضوا العهود والمواثيق كما قال الله جل ذكره: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾ [النساء: ٤٧].

جملة من الفوائد والعِبر المأخوذة من هذه القصة

ومن الفوائد ما يلي:

❑ التذكير بأن الذي يُسَيِّرُ الأمورَ والأشخاصَ هو الله ﷻ، فكل شيء يجري بتقديره سبحانه وتعالى، فليكن المُلْتَجأُ إليه دائمًا، فمن الذي يسُوقُ الحيتانَ يوم السبت حتى تأتي شُرَّعًا؟!! ومن الذي يصرفها؟! إنه الله سبحانه وتعالى.

❑ وكذا ترى من الذي ساق الحوت إلى يونس عليه السلام لما أُلقي في اليمِّ، في نفس التوقيت الذي أُلقي فيه عليه السلام دون أن يُتْرَكَ لحظةً للغرق؟!! إنه الله سبحانه وتعالى.

❑ وكذا من الذي جعل الحوت يضطرب في الزِّنْبيل

الذي يحمله فتى موسَى يُوشَعُ بنُ نُون، وجعله كذلك يشق طريقه ويتخذ سبيله في البحر سربًا وعجبًا؟! إنه الله عز وجل.

❑ وكذا كل الأشياء يُسَيِّرُها الله ويوقفها إن شاء.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [هود: ٤١].

وقال عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [يونس: ٢٢].

وقال عز وجل: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾.

فكل من له حاجة يريد قضاءها فليلجأ إلى الله وليسأله إياها، فقضاؤها عنده عز وجل.

❑ ومن الفوائد تقرير نبوة رسول الله ﷺ والتأكيد على ذلك، ففي القصة دليل على ذلك، وذلك من كونه - صلوات الله وسلامه عليه - يخبر اليهود بما حدث من أسلافهم، وما حلَّ بهم من العقوبات والنكال، وهو نبيٌّ أُميٌّ لا يقرأ ولا يكتب ولم يجلس إلى معلِّمٍ.

وهذا الدليل من دلائل النبوة، قد أُشير إليه في عدة آيات من كتاب الله:

كقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [القصص: ٤٤].

وكقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ [القصص: ٤٦].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَـٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٤٤].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [يوسف: ١٠٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا وَلَـٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [القصص: ٤٥].

ومن الفوائد تفسير القرآن بالقرآن:

فالآيات التي نحن بصددها، وهي قوله تعالى:

﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ ... تفسيرٌ لما أُجمل في سورة البقرة من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ﴾.

وهذا أصلٌ عظيمٌ من أصول التفسير، أن القرآن الكريم يُفسِّر بعضه بعضًا.

فعلى سبيل المثال قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَـٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [الدخان: ٢٨]، فسره قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَـٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ [الشعراء: ٥٩].

ولذلك أمثلة كثيرة جدًّا.

وثَمَّ فائدةٌ يُشار إليها:

مأخوذة من عدم تسمية القرية، مؤداها أن الله عز وجل لم يُسمِّ هذه القرية ولو كان عدم التسمية ضارًّا أو مؤثرًا لسماها ربنا - سبحانه وتعالى -، ومن ثَمَّ فلا نجشِّم أنفسنا البحث الطويل وراء اسم القرية بما يخرج بنا عن مضمون

القصة وعن الاعتبار بما فيها، فالعبرة حاصلة - ولله الحمد - على كل حال.

ومن ثَمَّ فلا يضر الخلاف في تحديد اسم القرية.

وكذلك القرية المذكورة في سورة [يس].

وكذلك لا يضر عدم ذكر أسماء أصحاب الكهف في سورة الكهف، ولا نتعب أنفسنا ونسود الصفحات بالبحث عن اسم قبيلتهم واسم كلبهم كما فعله بعض من تطرق إلى القصة. ألا فليُحفظ الجهد، وليُحفظ الوقت، ولنحرص على ما هو نافعٌ لنا.

ومن الفوائد:

أن الله عز وجل جعل هذه العقوبة ومن حلَّت بهم عبرة يعتبر بها المعتبرون ويتعظ بها المتعظون، كي يحذر العصاة عقوبة مخالفة أمر الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [البقرة: ٦٦].

أما قوله: ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ فإلى أي شيء يرجع الضمير؟

لأهل العلم في ذلك أقوال:

فمنهم من يقول: إن الضمير يرجع إلى العقوبة التي هي المسخ.

ومنهم من قال: يرجع إلى القرية، والمراد أهلها.

ومنهم من قال: إنها الحيتان.

وثَمَّ أقوال أُخر، وأقوى هذه الأقوال القول الأول والثاني.

وقوله تعالى: ﴿نَكَالًا﴾.

فالنكال: معناه الزجر بالعقاب، والنكل والنكال: قيود الحديد، فالنكال عقاب ينكل بسببه غير المعاقب عن أن يفعل مثل ذلك الفعل. قاله ابن عطية.

أما قوله تعالى: ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ فلأهل العلم فيه أقوال:

منها: أن ما بين يديها الأمم التي ستأتي من بعدهم، وما خلفها الذين كانوا قد بقوا منهم.

ومنها: أن ما بين يديها الأمم التي ستأتي من بعدهم كما سبق، وما خلفها القرى المحيطة بهم.

ومنها: أن ما بين يديها الذنوب التي أصابوها بالاعتداء على الحيتان، وما خلفها الذنوب التي أصابوها قبل الاعتداء على الحيتان، فالمعنى أنهم أُخذوا بالأول والآخر.

والمُؤَدَّى واحدٌ، وهو أن العاصي المعتدي مسخ فأصبح قردًا، وفي هذا عبرة لكل معتبر، والله تعالى أعلم.

أما لماذا خُصت الموعظة بالمتقين في قوله تعالى: ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾؟

فذلك - والله أعلم - لأن المتقين هم المنتفعون بالموعظة.

أما المراد بالمتقين: فقيل: هم الذين يتقون عقوبة الله ﷻ ويحذرونها.

وقيل: إن المتقين هنا هم أمة محمد ﷺ.

وقيل: إن المتقين هنا هم الذين يتقون الشرك ويعملون بطاعة الله.

والقول الذي ينتظمها جميعًا هو أن المتقين تشمل كل من تقدموا، والله تعالى أعلم.

وفي ختام الآية بقوله تعالى: ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ تأكيد ولفت انتباه إلى وجوب الحرص على تقوى الله ﷻ وملازمة الخوف منه والوقوف عند حدوده بتحليل ما أحلَّ، وتحريم ما حرَّم.

ومن الفوائد:

بيان أمر مهم، ألا وهو أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم أسباب السلامة والنجاة، خلافًا لما قد يظنه بعض الناس ويتصوره آخرون، وقد دلت على ذلك

أدلة كثيرة جدًّا من كتاب الله ﷻ، فمنها:

ما ذُكر في هذه القصة المباركة من قوله تعالى: ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾، وقد سبق بيانه.

ومنها: قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ [هُود: الآية ١١٦].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النمل: ٥٣].

وذلك بعد أن حلَّ بقوم صالح عليه السلام وهم ثمود ما حل.

وهكذا أنجى الله ﷻ أنبياءه ورسله وانتقم من أهل الظلم والشر والفساد.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾ [المائدة: ٦٧].

فالعصمة والحفظ مع البلاغ.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا: كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا**»(١٠).

ومن الفوائد:

إبطال الحِيل التي يُتوصل بها إلى المحرم.

وذلك على وجه من وجوه المفسرين لكيفية الاعتداء الذي قام به أصحاب السبت، وذلك من نصبهم الشباك يوم الجمعة، واستخراجها يوم الأحد.

---

(١٠) البخاري (٢٤٩٣).

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١١]:

إن الله تعالى أخبر في (الأعراف: ١٦٣- ١٦٧) عن أهل السبت من اليهود بمسخهم قردة لمَّا احتالوا على إباحة ما حرمه الله تعالى عليهم من الصيد بأن نصبوا الشباك يوم الجمعة، فلما وقع فيها الصيد أخذوه يوم الأحد، قال بعض الأئمة: ففي هذا زجر عظيم لمن يتعاطَى الحِيَل على المناهي الشرعية ممن يتلبَّس بعلم الفقه وهو غير فقيه إذ الفقيه من يخشى الله تعالى بحفظ حدوده وتعظيم حرماته والوقوف عندها، ليس المتحيل على إباحة محارمه وإسقاط فرائضه، ومعلوم أنهم لم يستحلوا ذلك تكذيبًا لموسى عليه السلام وكفرًا بالتوراة وإنما هو استحلال تأويل واحتيال ظاهره الاتقاء وباطنه باطن الاعتداء، ولهذا؛ والله أعلم مُسِخُوا قردة؛ لأن صورة القرد فيها شبه من صورة الإنسان وفي بعض ما يذكر من أوصافه شبه منه،

---

(١١) في كتابه «إغاثة اللهفان» (ص٣٧٨).

وهو مخالف له في الحد والحقيقة، فلما مسخ أولئك المعتدون دين الله تعالى بحيث لم يتمسكوا إلا بما يشبه الدين في بعض ظاهره دون حقيقته مسخهم الله تعالى قردة يشبهونهم في بعض ظواهرهم دون الحقيقة جزاءً وفاقًا.

وقال في موطن آخر من نفس الكتاب:

ثم إنه ﷺ نهانا عن التشبه باليهود، وقد كانوا احتالوا في الاصطياد يوم السبت، بأن حفروا خنادق يوم الجمعة تقع فيها الحيتان يوم السبت ثم يأخذونها يوم الأحد، وهذا عند المحتالين جائز؛ لأن فعل الاصطياد لم يوجد يوم السبت، وهو عند الفقهاء حرام؛ لأن المقصود هو الكف عما يُنَالُ به الصيد بطريق التسبب أو المباشرة.

وفي باب الحيل المحرمة يرد ما بينه النبي ﷺ إذ قال في شأن اليهود: **«قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ فَجَمَلُوهَا فَبَاعُوهَا»**(١٢).

(١٢) البخاري (٢٢٢٣) وقوله: «فجملوها» أي أذابوها. =

وفي رواية: «**وَأَكَلُوا أَثْمَانَهَا**»(١٣).

وفي ثالثة مطولة من حديث جابر رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ عَامَ الْفَتْحِ، وَهُوَ بِمَكَّةَ: «**إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ، وَالْمَيْتَةِ وَالْخِنْزِيرِ، وَالْأَصْنَامِ**» فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ شُحُومَ الْمَيْتَةِ فَإِنَّهَا يُطْلَى بِهَا السُّفُنُ، وَيُدْهَنُ بِهَا الْجُلُودُ، وَيَسْتَصْبِحُ بِهَا النَّاسُ؟ فَقَالَ: «**لَا، هُوَ حَرَامٌ**»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «**قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ؛ إِنَّ اللَّهَ لَمَّا حَرَّمَ شُحُومَهَا جَمَلُوهُ ثُمَّ بَاعُوهُ فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ**»(١٤).

ولكن ثَمَّ حيلٌ يتوصل بها إلى مباح كقوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

= **قال الحافظ ابن حجر:**

قوله: «حرمت عليهم الشحوم» أي أكلها، وإلا فلو حرَّم عليهم بيعها لم يكن لهم حيلة فيما صنعوه من إذابتها.

(١٣) البخاري (٢٢٢٤).

(١٤) البخاري (٢٢٣٦).

ولقد قال تعالى لنبيه أيوب عليه السلام، وكان قد أقسم أن يضرب زوجته مائة جَلْدة، فقال الله له: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾ [ص: الآية ٤٤].

قال ابن القيم رحمه الله(١٥):

من أنواع مكايد الشيطان:

ومن مكايده التي كاد بها الإسلام وأهله: الحيل والمكر والخداع الذي يتضمن تحليل ما حرم الله وإسقاط ما فرضه ومضادته في أمره ونهيه، وهي من الرأي الباطل الذي اتفق السلف على ذمه.

فإن الرأي رأيان: رأي يوافق النصوص وتشهد له بالصحة والاعتبار، وهو الذي اعتبره السلف وعملوا به. ورأي يخالف النصوص وتشهد له بالإبطال والإهدار، فهو الذي ذموه وأنكروه.

---

(١٥) (إغاثة اللهفان).

وكذلك الحيل نوعان: نوع يتوصل به إلى فعل ما أمر الله تعالى به، وترك ما نهى عنه، والتخلص من الحرام وتخليص الحق من الظالم المانع له، وتخليص المظلوم من يد الظالم الباغي، فهذا النوع محمود يثاب فاعله ومعلمه.

ونوع يتضمن إسقاط الواجبات وتحليل المحرمات وقلب المظلوم ظالمًا والظالم مظلومًا والحق باطلًا والباطل حقًّا، فهذا النوع الذي اتفق السلف على ذمه وصاحوا بأهله من أقطار الأرض.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: لا يجوز شيء من الحيل في إبطال حق مسلم.

وقال الميموني: قلت لأبي عبد الله: من حلف على يمين ثم احتال لإبطالها، فهل تجوز تلك الحيلة؟ قال: نحن لا نرى الحيلة إلا بما يجوز. قلت: أليس حيلتنا فيها أن نتبع ما قالوا، وإذا وجدنا لهم قولًا في شيء اتبعناه؟ قال: بلى. هكذا هو. قلت: أو ليس هذا منا نحن حيلة؟ قال: نعم.

فبين الإمام أحمد أن من اتبع ما شرعه الله له وجاء عن السلف في معاني الأسماء التي علقت بها الأحكام: ليس بمحتال الحيل المذمومة، وإن سميت حيلة؛ فليس الكلام فيها.

وغرض الإمام أحمد بهذا: الفرق بين سلوك الطريق المشروعة التي شرعت لحصول مقصود الشارع وبين الطريق التي تسلك لإبطال مقصوده.

ومن الفوائد:

بيان حال بني إسرائيل وما هم عليه من الشقاق والعناد ونقض العهود والمواثيق مع الله عز وجل ومع أنبيائهم، ومن ثَمَّ فسينقضون العهود والمواثيق مع المخلوقين، فالذي لا يخشى الله لن يتورع عن غش العباد وخداعهم وتضليلهم(١٦).

(١٦) مع أنه كان من بني إسرائيل قوم صالحون، لكن الأغلب والأعم هم الأشرار والفجار.

ومن الفوائد:

بيان لأمرٍ مهم، وهو أن الله عز وجل سيسأل من رأوا المنكر ولم يغيروه أو يأمروا بتغييره، وذلك مفهوم من قول الفئة الصالحة. لما أنكر عليهم المنكرون ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا﴾.

قالوا: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

بل، وقد تتنزل العقوبات في بعض الأحيان على الساكتين.

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥].

ومنها: تذكير الظالم بما فُعل بالظالمين، وما حلَّ بهم من العقاب والنكال حتى ينتهي عن ظلمه ويُقلع عن غيِّه وفساده.

ومنها: أنه يجوز أحيانًا التشنيع على الظالم حتى يقلع عن ظلمه وبيان ما حلَّ بقومه الظلمة، وإن كان يجوز الستر أحيانًا، وكل ذلك بحسب ما تقتضيه المصلحة ويقتضيه

المقام، ولقد قال تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ﴾ [النساء: ١٤٨].

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍۚ﴾ [المَائدة: الآية ١٥] أي يظهر كثيرًا كالذي حلَّ بأصحاب القرية، ويستر على أمور كثيرة فلا يفضحكم بها.

وثَمَّ حديثٌ في الباب أخرجه أبو داود، والبخاري في (الأدب المفرد)، من حديث أبي هريرة قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَشْكُو جَارَهُ فَقَالَ: «اذْهَبْ فَاصْبِرْ» فَأَتَاهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا، فَقَالَ: «اذْهَبْ فَاطْرَحْ مَتَاعَكَ فِي الطَّرِيقِ» فَطَرَحَ مَتَاعَهُ فِي الطَّرِيقِ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ فَيُخْبِرُهُمْ خَبَرَهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَلْعَنُونَهُ: فَعَلَ اللَّهُ بِهِ وَفَعَلَ، وَفَعَلَ فَجَاءَ إِلَيْهِ جَارُهُ فَقَالَ لَهُ: ارْجِعْ لَا تَرَى مِنِّي شَيْئًا تَكْرَهُهُ(١٧).

(١٧) أبو داود (٥١٥٣)، والبخاري في (الأدب المفرد/ ١٢٤)، وسنده يصحح لشواهده.

ومن الفوائد:

التذكير بما هو ثابت في كتاب الله ﷻ من وجوه متعددة، والذي حاصله أن العقوبات تنزل بسبب الذنوب والمعاصي، وكذلك اللعنات قد تحلُّ بسبب ذلك، فعذاب بئيس شديد حلَّ بالمعتدين يوم السبت.

بل مُسخوا قردة وخنازير!!!.

بل، ولعنهم الله ﷻ، كما قال في كتابه: ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: ٤٧].

ومن الفوائد:

كما أشرت آنفًا التنبيه على أن هناك ابتلاءً بتيسير أسباب المعصية.

وقلَّ مَنْ يفهم ذلك، وقلَّ من يدرك ذلك، وقلَّ مَنْ يتفطن له، وقد دلت عليه أدلة كثيرة من كتاب الله ﷻ، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن

تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ﴾ [النحل: ٩٢].

وحاصل ذلك: أن شخصًا أو قومًا قد يُعاهدون قومًا عهدًا ويُبرمون معهم أمورًا واتفاقيات، ويؤكدون ذلك بالأَيْمَانِ أحيانًا، فيأتي مَن هو أكثر عددًا ومالًا وأقوى عُددًا فينقض الشخص أو القوم عهدهم مع القوم الأولين، ويتعاهدون مع مَنْ هو أكثر عددًا ومالًا وأقوى عُددًا.

ووجه ذلك الابتلاء أن الله سبحانه وتعالى ساق (القوم الذين هم أقوى عددًا . . .) إلى الأولين اختبارًا لهم كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ﴾ [النحل: ٩٢]، ليُعلم هل يثبتون على العهود الأولى ويحافظون عليها أم ينقضونها ويغدرون.

فقد تُخطب فتاةٌ وتَرْكَنُ - هي وأهلُها - إلى الخاطب ويُعلنون للخاطب الموافقة على الخطبة، ويرضى بها خاطبها، ويطمئنُّ إلى مخطوبته فتصبح فلانة مخطوبةٌ لفلان، فيأتي آخر يريد أن يخطبها ويعرض من المال

أضعاف أضعاف ما عرضه الأول، فتُرى من الذي ساق هذا الآخر لخطبتها، وقد خُطبت؟!!

إنه ابتلاء من الله عز وجل لأهل الفتاة وللفتاة جميعًا.

هل يثبتون على الخِطْبة الأُولى أم ينقضونها.

وثَمَّ رجلٌ باع بيتًا وتمَّ البيع وتفرَّق المجلس، وقد باع هذا البيت بمائة ألف، فبعد أن تم البيع جاء رجل آخر يريد أن يشتري البيت من البائع الأول الذي قد باعه، فيعرض عليه المشتري الجديد أن يشتري منه البيت الذي قد باعه بثلاثمائة ألف، فحينئذ يُفكر كيف ينقض البيع الأول كي يعقد الصفقة مع الشخص الجديد، فتُرى من الذي ساق هذا المشتري الجديد كي يُغري البائع بنقض البيع الأول، وقد قال الرسول ﷺ: **«لَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ أخيهِ، وَلَا يَخْطُبْ بَعْضُكُمْ عَلَى خِطْبَةِ أخيهِ»**.

ويحضرني في هذا السببُ في كون شهادة خزيمة بن ثابت عدلت شهادة رجلين.

أخرج الإمام أحمد[١٨] في (مسنده) من طريق عمارة بن خزيمة الأنصاري أَنَّ عَمَّهُ حَدَّثَهُ وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ابْتَاعَ فَرَسًا مِنْ أَعْرَابِيٍّ فَاسْتَتْبَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ لِيَقْضِيَهُ ثَمَنَ فَرَسِهِ، فَأَسْرَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَشْيَ وَأَبْطَأَ الْأَعْرَابِيُّ، فَطَفِقَ رِجَالٌ يَعْتَرِضُونَ الْأَعْرَابِيَّ فَيُسَاوِمُونَهُ بِالْفَرَسِ وَلَا يَشْعُرُونَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ابْتَاعَهُ، فَنَادَى الْأَعْرَابِيُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ مُبْتَاعًا هَذَا الْفَرَسِ وَإِلَّا بِعْتُهُ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ سَمِعَ نِدَاءَ الْأَعْرَابِيِّ، فَقَالَ: «**أَوْ لَيْسَ قَدِ ابْتَعْتُهُ مِنْكَ؟**» فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: لَا، وَاللَّهِ مَا بِعْتُكَهُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**بَلَى، قَدِ ابْتَعْتُهُ مِنْكَ**»، فَطَفِقَ الْأَعْرَابِيُّ يَقُولُ: هَلُمَّ شَهِيدًا. فَقَالَ خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ: أَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَايَعْتَهُ فَأَقْبَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى خُزَيْمَةَ، فَقَالَ: «**بِمَ تَشْهَدُ؟**» فَقَالَ: بِتَصْدِيقِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَهَادَةَ خُزَيْمَةَ بِشَهَادَةِ رَجُلَيْنِ.

---

(١٨) «المسند» (٥/ ٢١٥)، وأبو داود (٣٦٠٧)، والنسائي (٧/ ٣٠١).

وقد يُعاهد قومٌ قومًا آخرين عهدًا وتكون بينهم هدنة فلا يعتدي أحدٌ على الآخر خمس سنوات ثم تلوح لفريق منهم غرةٌ يراها من الآخر ويمكنه فيها إذا انقضَّ عليه أن يُبيده، وأن ينتصر عليه، وتلك الغرة جعلها الله اختبارًا للقوم، هل يحافظون على العهد والميثاق ممتثلين قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة: ١]، وقوله تعالى: ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤]، أم أنه يتجاوز هذا كله طمعًا وغدرًا وخيانةً ونقضًا؟!!

ومن الابتلاءات بتيسير أسباب المعصية:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٩٤﴾ [المائدة: ٩٤].

فكما هو معلوم أن الشخص المُحرِم لا يجوز له أن يصطاد؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ

حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ [المائدة: ٩٥].

فقد يتلبَّس شخصٌ بالإحرام ويُهلُّ بالحج أو بالعمرة، ثم يَظْهَرُ له صيدٌ عظيم سمين، يظهر له بقر وحشي (حلال أكله)، وبيده السهم من الممكن جدًّا أن يصطاده فيصبح بالصيد ثريًّا من الأثرياء؛ إذ الصيد سمينٌ وسهلٌ وقريبٌ، ولا يكلف الرجل كبير جهد ولا كبير تصويب.

فتُرى من الذي ساق الصيد؟ إنه ابتلاءه من الله تعالى كما قال تعالى: ﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٤].

وقد تُساق الأرانب والطيور والمُحرِم جائعٌ وبإمكانه صيدها وسد جوعته، ليُعلم هل يعتدي أم أنه سيحافظ على حدود الله عز وجل، وأيضًا قد يرى المُحرِم لقطةً كبيرة، مبلغًا ماليًّا طائلًا أو قطعة كبيرة من الذهب، يراها مُلقاة في مكة - البلد الحرام - وقد علم أن لقطتها لا تُلتقط إلا لمُنشد ليُعلم هل يقف عند حدود الله؟ أم أن الطمع يحمله على

اكتنازها والاستمتاع بها.

فمَنِ الذي ساق له هذه القطعة، ومَنِ الذي أوقع بصره عليها؟!! إنه ابتلاءٌ وإنها فتنةٌ!!.

وهذا ابتلاء آخر بتيسير أسباب المعصية:

لقد حدث هذا الابتلاء لطائفة أيضًا من بني إسرائيل من بعد نبي الله موسى عليه السلام، ألا وهي الطائفة التي خرجت للقتال مع الملك الصالح طالوت، لقد ابتلاهم الله بنهر يمرون عليه ومنعهم نبي الله طالوت من الشُّرب منه، إلا من اغترف غرفة بيده، فيا سبحان الله! القوم يمرون على النهر وهم عطاش، وقد حذرهم نبيهم من الشرب منه إلا من اغترف غرفة بيده، والماء عذبٌ والقوم عطاش، وذاقوا طعم النهر بالغرفة التي اغترفوها منه، فلم يصبر أكثرهم عن الشُّرب، وهذا قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ

غُرْفَةً بِيَدِهِۦ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ (٢٤٩)﴾ [البقرة: ٢٤٩].

أعود فأقول: إن هذا النوع من أنواع الابتلاء لا يكاد يُدرك، ولا يتفطن له إلا الورعون الأتقياء البررة الأوفياء.

إن المرأة قد تُبتلى بهذا الابتلاء فترى مال زوجها أمامها والزوج لم يُتقن العدَّ ولم يحصه فتُسول لها نفسها ما تسوله، والمحفوظة من حفظها الله.

وقد يتغيب زوجها ويتردد عليها أخوه (الذي هو الحمو) الذي هو في خطره وضرره كالموت، والشبهة مندفعة وأعين الناس لا تدرك ولا تكاد تدرك، وكل هذا من الابتلاء وكل ذاك من الفتن.

وكذا الرجل قد يستضعف امرأته ويستضعف أهلها وينال منها بالسب والشتم والضرب والإهانة، ويخفى عليه

أن الله كان عليًّا كبيرًا.

فعلى الجميع أن يراقب الله ويعلم أنه إن لم يكن يرى ربه فإن ربه يراه: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشعراء: ٢١٨، ٢١٩].

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾﴾ [هود: ٥].

فليعلم الجميع أن الله سميع، وأن الله بصير، وأن الله يرى.



وهذه تساؤلات، منها:

هل مُسِخَ الذين اعتدوا في السبت قردة على الحقيقة؟

۞ وجواب ذلك هو:

نعم مُسِخُوا قردة على الحقيقة، وهذا ظاهر كلام الله عز وجل، فالله جل ذكره قال: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾ [البقرة: ٥٦]، والله سبحانه وتعالى قال: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢].

وقد قال جل ذكره أيضًا: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾ [المائدة: ٦٠]، **وهذا رأي جمهور المفسرين،** رأيهم أن المعتدين في السبت مُسِخُوا قردةً على الحقيقة، وقد خالف في ذلك مجاهد بن جبر رحمه الله وتعقبه الطبري تعقبًا قويًا في تفسيره، وكذلك تعقبه الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره،

والقول الذي ندين الله بصحته هو قول الجمهور لموافقته ظاهر الكتاب العزيز، والله تعالى أعلم.



❁ وسؤال آخر:

هل الممسوخ يتناسل؟[١٩]

❁ وجوابه:

ذهب جمهور العلماء إلى أن الممسوخ لا يتناسل وذلك لحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الذي أخرجه مسلم وغيره، وفيه أن ابن مسعود قال:

فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْقِرَدَةُ وَالْخَنَازِيرُ هِيَ مِمَّا مُسِخَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ اللَّهَ** عز وجل **لَمْ يُهْلِكْ قَوْمًا أَوْ يُعَذِّبْ قَوْمًا فَيَجْعَلَ لَهُمْ نَسْلًا، وَإِنَّ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ**»[٢٠].

---

(١٩) أي مسخ من إنسان إلى قرد مثلًا!

(٢٠) أخرجه مسلم (حديث ٢٦٦٣)، وفي رواية لمسلم: «**إن الله لم يجعل لمسخ نسلًا ولا عقبًا، وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك**».

هذا وقد ذكر القرطبي رحمه الله تعالى بحثًا مختصرًا في ذلك فقال =

= رَحِمَهُ اللَّهُ (٢/ ٤٤١، ٤٤٢): ولم يبق لهم نسل؛ لأنه قد أصابهم السخط والعذاب، فلم يكن لهم قرار في الدنيا بعد ثلاثة أيام، قال ابن عباس: لم يعش مسخ قط فوق ثلاثة أيام، ولم يأكل ولم يشرب ولم ينسل.

قال ابن عطية: وروي عن النبي ﷺ وثبت أن الممسوخ لا ينسل ولا يأكل ولا يشرب ولا يعيش أكثر من ثلاثة أيام.

قلت: هذا هو الصحيح من القولين: **وأما ما احتج به ابن العربي وغيره** على صحة القول الأول من قوله ﷺ: «**فُقِدَتْ أُمَّةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا يُدْرَى مَا فَعَلَتْ وَلَا أُرَاهَا إِلَّا الْفَأْرَ أَلَا تَرَوْنَهَا إِذَا وُضِعَ لَهَا أَلْبَانُ الْإِبِلِ لَمْ تَشْرَبْهُ وَإِذَا وُضِعَ لَهَا أَلْبَانُ الشَّاءِ شَرِبَتْهُ**». رواه أبو هريرة، أخرجه مسلم.

وبحديث الضب رواه مسلم أيضًا عن أبي سعيد وجابر، قال جَابِرُ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِضَبٍّ فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ مِنْهُ وَقَالَ: «**لَا أَدْرِي لَعَلَّهُ مِنَ الْقُرُونِ الَّتِي مُسِخَتْ**».

فمتأوَّلٌ على ما يأتي، قال ابن العربي: وفي البخاري عن عمرو بن ميمون أنه قال: رَأَيتُ فِي الجَاهِلِيَةِ قِردةً قَدْ زَنَتْ فَرَجَمُوهَا فَرَجَمْتَهَا مَعَهُمْ، ثبت في بعض نسخ البخاري وسقط في بعضها، وثبت في نص الحديث «قد زنت» وسقط هذا اللفظ عند بعضهم.

قال ابن العربي: فإن قيل: وكأن البهائم بقيت فيهم =

= معارف الشرائع حتى ورثوها خلفًا عن سلف إلى زمان عمرو؟
قلنا: نعم كذلك كان؛ لأن اليهود غيَّروا الرجم فأراد الله أن يقيمه في مسوخهم حتى يكون أبلغ في الحجة على ما أنكروه من ذلك وغيَّروه، حتى تشهد عليهم كتبهم وأحبارهم ومسوخهم، حتى يعلموا أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون، ويحصي ما يبدلون وما يغيرون، ويقيم عليهم الحجة من حيث لا يشعرون، وينصر نبيه عليه السلام وهم لا ينصرون.
قلت: هذا كلامه في الأحكام، ولا حجة في شيء منه، وأما ما ذكره من قصة عمرو فذكر الحميدي في جمع الصحيحين: حكى أبو مسعود الدمشقي أن لعمرو بن ميمون الأودي في الصحيحين حكاية من رواي حُصين عنه قال: رأيت في الجاهلية قِرْدة اجتمع عليها قِرَدة فرجموها فرجمتها معهم. كذا حكى أبو مسعود ولم يذكر في أي موضع أخرجه البخاري في كتابه؛ فبحثنا عن ذلك فوجدناه في بعض النسخ لا في كلها؛ فذكر في كتاب أيام الجاهلية. وليس في رواية النعيمي عن الفربري أصلًا شيء من هذا الخبر في القردة؛ ولعلها من المقحمات في كتاب البخاري.
والذي قال البخاري في «التاريخ الكبير»: قال لي نعيم بن حماد أخبرنا هشيم عن أبي بلج وحصين عن عمرو بن ميمون قال: رأيت في الجاهلية قردة اجتمع عليها قرود فرجموها فرجمتها =

= معهم. وليس فيه «قد زنت». فإن صحت هذه الرواية فإنما أخرجها البخاري دلالة على أن عمرو بن ميمون قد أدرك الجاهلية، ولم يبال بظنه الذي ظنه في الجاهلية. وذكر أبو عمر في «الاستيعاب» عمرو بن ميمون وأن كنيته أبو عبد الله «معدود في كبار التابعين من الكوفيين، وهو الذي رأى الرجم في الجاهلية من القردة إن صح ذلك؛ لأن رواته مجهولون. وقد ذكره البخاري عن نعيم عن هشيم عن حصين عن عمرو بن ميمون الأودي مختصرًا. قال: رأيت في الجاهلية قِرْدة زنت فرجموها - يعني القِرَدة - فرجمتها معهم. ورواه عباد بن العوام عن حصين كما رواه هشيم مختصرًا.

وأما القصة بطولها فإنها تدور على عبد الملك بن مسلم عن عيسى ابن حطان، وليسا ممن يحتج بهما، وهذا عند جماعة أهل العلم منكر إضافة الزنى إلى غير مكلف، وإقامة الحدود في البهائم. ولو صح لكانوا من الجن؛ لأن العبادات في الإنس والجن دون غيرهما». وأما قوله عليه السلام في حديث أبي هريرة: **«ولا أراها إلا الفأر»**، وفي الضب: **«لا أدري لعله من القرون التي مسخت»** وما كان مثله، فإنما كان ظنًّا وخوفًا لأن يكون الضب والفأر وغيرهما مما مسخ، وكان هذا حدسًا منه ﷺ قبل أن يوحى إليه أن الله لم يجعل للمسخ نسلًا؛ فلما أوحى إليه بذلك زال عنه =

وهذه إشارة إلى أمر آخر، فكما تقدم أن الله ﷻ حرم العمل على اليهود يوم السبت، وفي الحديث[٢١] عن رسول الله ﷺ أضل الله ﷻ عن الجمعة مَنْ كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة. فجعل الجمعة والسبت والأحد، وكذلك هم تبعُ لنا يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة، المقضي لهم قبل الخلائق، وفي رواية (المقضي بينهم).

= ذلك التخوف، وعلم أن الضب والفأر ليسا مما مسخ، وعند ذلك أخبرنا بقوله ﷺ لمن سأله عن القردة والخنازير: هي مما مسخ؟ فقال: «**إن الله لم يهلك قومًا أو يعذب قومًا فيجعل لهم نسلًا وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك**». وهذا نص صريح صحيح رواه عبد الله بن مسعود، رواه مسلم في كتاب «القدر». وثبتت النصوص بأكل الضب بحضرته وعلى مائدته ولم ينكر؛ فدل على صحة ما ذكرنا. وبالله توفيقنا. وروي عن مجاهد في تفسير هذه الآية أنه إنما مسخت قلوبهم فقط. وردَّت أفهاهم كأفهام القردة. ولم يقله غيره من المفسرين فيما أعلم. والله أعلم.

(٢١) مسلم (٨٥٦).

۞ وهنا يطرح سؤال:

هل لزامًا أن تكون - عندنا كمسلمين - إجازة، وتوقف عن العمل يوم الجمعة؟

فأقول، وبالله التوفيق، إنما التوقف عن العمل يوم الجمعة، يكون عند النداء للصلاة وذلك إلى أن تنتهي الصلاة ويصلى المصلون، وأما قبل ذلك وبعده فلا بأس بالعمل، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ﴾ [الجُمُعَة: الآية ٩].

فدل ذلك على أن هناك بيعًا قبل الصلاة.

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠﴾ [الجمعة: ١٠].

فدل ذلك على أن بعد الصلاة عملًا وابتغاء فضلٍ من الله، والله أعلم.

وهذه لفتةٌ أُخرى فحواها ومؤداها أن لحوم الحيتان

ليست بأعظم حرمة من لحوم المسلمين[٢٢].

فإذا كان الله عز وجل أخذ على قوم عهدًا وميثاقًا أن لا يعدوا في السبت ولا يصطادوا الحيتان، فقد أخذ عهودًا ومواثيق عليهم وعلى غيرهم ألا يقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، وتوعد أشد الوعيد مَنْ قتل مؤمنًا بغير حق، فقال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا﴾ [النساء: ٩٣] فإذا كان ثم قوم عجلت لهم العقوبة في دنياهم لكونهم اصطادوا الحيتان في اليوم حرم فيه عليهم الصيد ومسخوا إلى قردة فأجدرُ بقوم قتلوا الأنفس المحرمة أن يحذروا غضب الله ويقلعوا عما هم فيه، وأن يتوبوا إلى الله عز وجل وينيبوا إليه.



---

(٢٢) ونقل نحوه عن الحسن البصري رحمه الله.

وختامًا...

فبهذا القدر أكتفي، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقني والمسلمين للعمل بكتابه وبسنة رسوله ﷺ، وأن ينفعنا بما فيها من العبر والعظات، وأن يَقِيَنَا المصائبَ والشرورَ، وأن يحفظَنَا من العصيان والنشوز وأن يرزقنا حسن الاستقامة.

ثمَّ ما كان في هذه الرسالة من نفع وخير وصواب فمن الله سبحانه وتعالى وحده، فله النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، وما كان فيها من خطأ وخلل وسهو ونسيان فمن نفسي ومن الشيطان، وأستغفر الله عز وجل وأتوب إليه.

كتبه

أبو عبد الله مصطفى بن العدوي

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
سياق القصة كما وردت في كتاب الله عز وجل	٨
بعض معاني المفردات الواردة في هذه القصة	١٠
وبين يدي هذه القصة	١٣
القصة التي أظهرها الله عز وجل لليهود وللمسلمين وكان اليهود يخفونها	١٦
أما عن هذا الابتلاء الذي ابتُلي به أصحاب القرية	٢٠
انقسم أهل القرية إلى ثلاثة أقسام	٢١
وترى ماذا كان من أمر هذه الأقسام الثلاثة وما مصيرهم؟!	٢٣
الفئة الثالثة الساكتة التي لم تقع في المحظور ولم تباشره، والتي لم تنه عن المنكر، فما مصيرها؟	٢٦
مصير هذه الأقسام وهؤلاء الأقوام	٢٧
ثُمَّ هذه بعض الآثار الواردة عن السلف الصالح في شأن	

أصحاب السبت ٢٨

كيف تُوعِّدُوا بالعذاب وقد مُسِخوا قردة وخنازير؟ ٣٦

جُملة من الفوائد والعبر المأخوذ من هذه القصة ٣٩

أما لماذا خُصت الموعظة بالمتقين في قوله تعالى:

﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾؟ ٤٥

المراد بالمتقين ٤٦

أنواع مكايد الشيطان ٥٢

ومن الابتلاءات بتيسير أسباب المعصية ٦١

وهذه تساؤلات ٦٦

هل مُسِخَ الذي اعتدوا في السبت قردة على الحقيقة؟ ... ٦٦

هل الممسوخ يتناسل؟ ٦٨

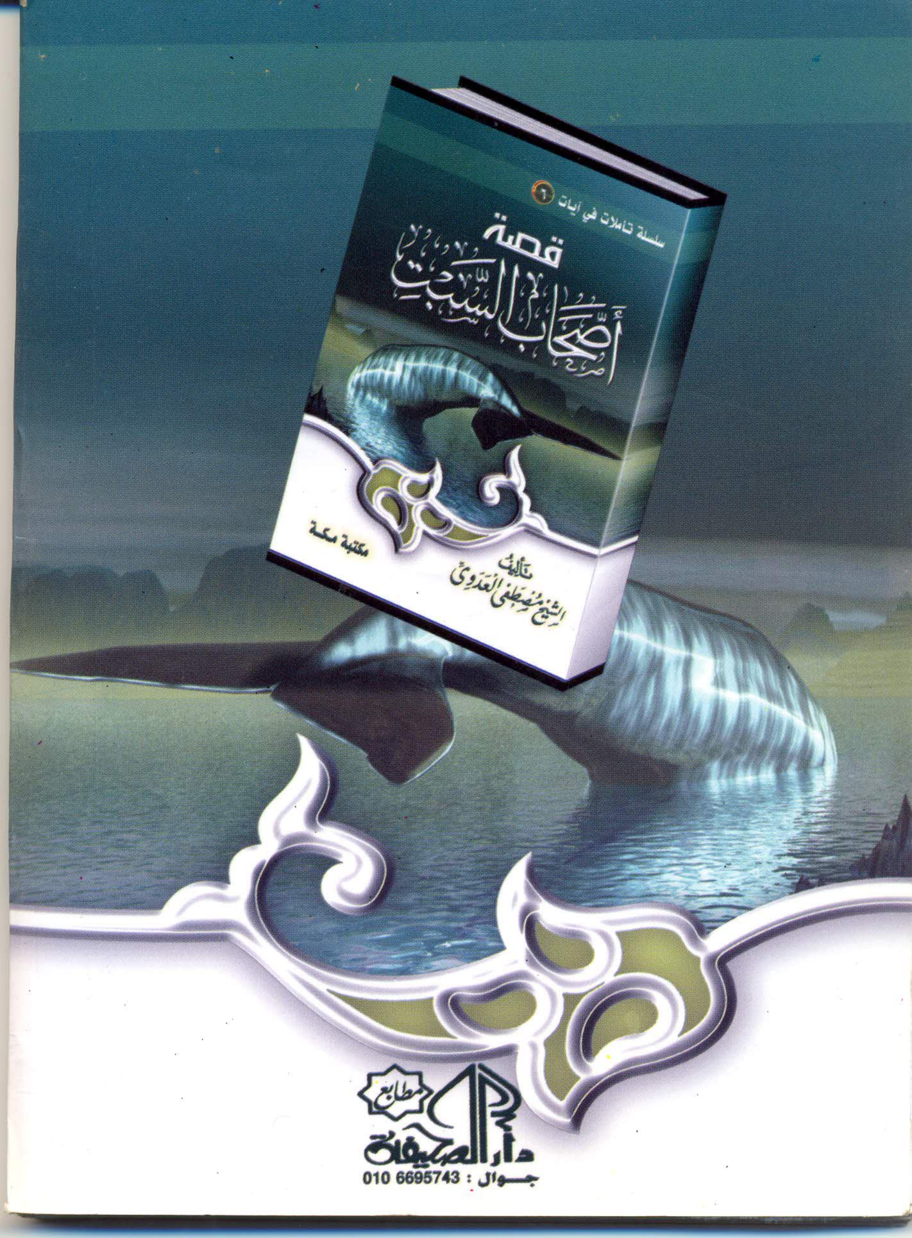
هل لزامًا أن تكون - عندنا كمسلمين - إجازة وتوقف عن

العمل يوم الجمعة؟ ٧٣

وختامًا ٧٥

الفهرس ٧٦





سلسلة تأملات في آيات ٦
قصة أصحاب السبت
تأليف
الشيخ مصطفى العدوي
مكتبة مكة
مطابع
دار الصحيفة
جوال : 010 6695743